﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠﴾ [المرسلات: 38 - 40]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

مِـــن صَـــمْـــتِ الحيرة والدَّهشة إلى نِداء التَّرهيبِ والوَخشَةِ

لمّا ذَكَرَ الله تعالى حالَ المكذِّبين في موقِفِ الحَيْرَة والدَّهشة، وقد خُتِمَت أفواههم، فلا نطقَ يُسمَعُ، ولا اعتذارَ يُقْبَل، وكان ذلك أمارةَ الحُكْم بعَجْزِهِم وضَياع حجَّتِهم؛ أعقب ذلك بذِكْرِ مشهدٍ آخر من مشاهد ذلك اليوم، فقال: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ إيذانًا بانتقالِ الموقف من سُكوتِ العَجْز إلى صَوْلَة الحكم، ولمّا كانت مواطِن القيامة تُسمَّى أيّامًا؛ لتنوُّع أحكامِها وتعدُّد مواقِفِها، تميَّز يومُ الفَصْلِ عن غيرِهِ بكَوْنِه موطِنَ القَضاء النِّهائيِّ بعد انقطاعِ القَوْلِ والحيلَة، فاجتمع فيه تمامُ العَدْلِ وكمالُ القَهْر؛ ليَبْدوَ المكذِّبون في غايَةِ الذُّلّ، لا مقالَ لهُم ولا كَيْد[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كَيۡدٞ﴾: أصل (كيد) يدلُّ على معالجةِ لشَيْءٍ بشدَّة[2]، والكَيْدُ: المكر، يقال: كادَهُ يكيدُهُ كَيْدًا ومَكيدَةً، وكذلك المُكايَدَةُ[3]، وهو ضربٌ من الاحتيالِ، وقد يكون مذمومًا وممدوحًا، وإن كان يُسْتَعْمَلُ في المذموم أكثر[4]، والكَيْدُ من المَكيدَةِ، وقد كادَهُ مَكيدَةً[5]، وكلُّ شيءٍ تُعالِجُهُ فأنتَ تَكيدُهُ[6]، وقولهُ تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ﴾: إن كانَت لَكُم حيلَةٌ؛ فاحتالوا لأنفُسِكُم[7].

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 181، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 441.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كيد).
(3) الجوهريُّ، الصِّحاح: (كيد).
(4) الرّاغب، المفردات: (كيد).
(5) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (كيد).
(6) الجوهريُّ، الصِّحاح: (كيد).
(7) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 8/ 307.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يبيِّن الله ﷻ في هذا النَّصِّ القرآنيِّ المبارك أنَّ يوم القيامةِ هو يومُ الفَصْلِ بين جميع الخلائق، وهو اليومُ الذي سَيَجْمَعُ فيه كفّارَ هذه الأمَّة بقدرته سبحانه مع مَنْ كان قَبْلَهُم مِن الأمم الهالكَةِ المكذِّبة بأنبياءِ الله تَعالى ورُسُلِه ﷺ؛ وذلك للفَصْلِ بينَهُم وبينَ عبادِهِ المُؤْمنين، ولتَمْييزِ المُحقّين مِن المُبْطلين، ولبيانِ إنْ كان لهؤلاء المكذِّبين حيلَة في هذا اليوم لدَفْعِ العَذابِ عَنْهُم، أو التَّخلُّص مِن بَطْشِ الله تَعالى وانتقامه حتَّى يَحْتالوا لإنقاذِ أنْفُسِهم مِن ذلك العذاب، إلّا أنَّهم لن يَسْتَطيعوا الاحتيال؛ لأنَّ العذابَ واقع بهم لا محالة، ولأنَّ الهلاك المعدَّ لهم؛ بسبَبِ كُفْرِهم وتكذيبِهم بآياتِ الله تَعالى قَد أحاطَ بهِم مِن كلِّ اتِّجاهٍ[1].

يـومُ القيامَةِ هو يومُ الفَصْلِ بينَ النّاس أجمعين، وتحديدِ مصيرِ المُؤْمِنين والكافرينَ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصل الآياتِ عَن سابِقَتِها:

فُصِل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ﴾ عن سابقه؛ لِما بينَهُما مِن كمال الاتِّصال؛ إذ إنَّ هذا "تكرير لتوبيخِهم بعدَ جُملة: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، شُيِّع به القول الصّادر بطردِهم وتحقيرهم، فإنَّ المطرودَ يُشَيَّع بالتَّوبيخ، فهو ممّا يقال لهم يومئذٍ، ولم تعطف بالواو؛ لأنَّها وقعت موقع التَّذييل للطَّرد، وذلك مِن مقتضيات الفصل، سواءٌ كان التَّكرير بإعادة اللَّفظ والمعنى، أم كان بإعادة المعنى والغرض"[2].

فَـصْـلٌ يُـجَـلّي مَـشْـهَـدَ يـومِ الفَصْلِ

دلالة التَّعبير باسم الإشارة للقريب: ﴿هَٰذَا﴾، ونكتة تكراره:

أوثر التَّعبير باسم الإشارة للقريب ﴿هَٰذَا﴾؛ لتمييز المشار إليه أكملَ تمييز مِن حيث إنَّه تبكيتٌ للمكذِّبين به، وهو على نسَقِ قوله

إشـارةُ القُرب تـجـديـد لاستـحـضـارِ الكَرب

(1) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 277، ونخبة من علماء التفسير، التَّفسير الميسر: 1/ 581.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 441.

سبحانه: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥﴾ [الطّور: 13 - 15]، "فالمشار إليهِ هو اليومُ الحاضِر، وهو يوم الفصل"[1]، وما فيه مِن حسابٍ وجزاء... إلخ.

وفي الإشارة للقريب - وإن كان وقتَ تلاوة هذه الآيات بعيدًا - استحضارٌ له، وتهويلٌ لأمره، وتفخيم لشأنِه؛ بحيث إنَّه ممّا يُشار إليهِ، "والإخبار عن اسم الإشارة بأنَّه يوم الفصلِ باعتبار أنَّهم يتصوَّرون ما كانوا يَسْمَعون في الدُّنيا مِن محاجَّة عليهم لإثبات يومٍ يكون فيه الفصل، وكانوا يُنْكِرون ذلك اليوم، وما يتعذَّرون بما يقع فيه، فصارت صورة ذلك اليومِ حاضرةً في تصوُّرهم دون إيمانِهم به، فكانوا الآنَ مُتَهَيِّئين لأنْ يوقِنوا بأنَّ هذا هو اليوم الذي كانوا يوعدون بحُلولِه، وقد عُرف ذلك اليوم مِن قبلُ بأنَّه يوم الفصل، أي: القضاء، وقد رَأوا أُهْبَة القَضاء"[2].

وقد تكرَّر اسمُ الإشارةِ ﴿هَٰذَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾؛ لتَجْديدِ الهَوْلِ وتَقْريبِه، ولتأكيد مَعْنى القُرب، وكأنَّ يوم القيامَةِ ماثلٌ أمامَ السَّمع والبصر، والملائكة قد نَصَبَت الموازين، والخلائق تَصْطَفُّ، والنِّداء يُجَلْجِلُ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾[3].

دلالة التَّعبير بتركيب ﴿يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾:

الفصلُ شعارُ السّورة، وهو محلُّ تأمُّلٍ لذوي البَصيرة

كُرِّر التَّعبير بتركيب ﴿يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾: هنا بعد تقدُّمه في ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ [المرسلات: 13،14] في ثلاثة مواضع

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 439.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 441.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 181، ومحمَّد الهلال، تفسير القرآن الثَّريُّ الجامع: 12/ 239.

مِن السّورة المباركة؛ "لتأكيدِ وُقوعِه، ولتَوْبيخِهم على إنكاره"[1]، ولترسيخ مبدأِ العَدالة الإلهيَّة، وهو المبدأ الذي تقوم عليه السّورة مِن أوَّلها إلى آخرها؛ ممّا يبعث في النَّفس الرَّهبةَ العَظيمةَ والهَيْبَة الشَّديدة مِن ذلك اليوم، الذي "يُفْصَلُ فيه بين الخلائق، ويتميَّز فيه الحقُّ مِن الباطل، فيؤتى كلُّ عاملٍ جزاءَ عَمَلِه مِن ثواب وعقاب، ويُفصَل بين العباد بعضِهم مع بعض، فيُقتصُّ مِن الظّالم للمظلوم، وتُردُّ له حقوقُه"[2].

معنى التَّعريف ودلالتُه في قوله: ﴿ٱلۡفَصۡلِۖ﴾:

تعيينٌ للمَوْعودِ وتعظيمٌ للمَشْهودِ

جاء التَّعريف في قولِه تعالى: ﴿ٱلۡفَصۡلِۖ﴾ للعَهْدِ العلميِّ، أي: الفصل المعهود الذي لا يَدَعُ مثقال ذرَّة، في اليوم الذي وُعِدوا به، وعُرِف في أذهانهم مِن كثرة ما سَمِعوه مِن الرُّسل والكُتُب السّابقة، وأيضًا فإنَّ هذا التَّعريف يُضْفي على اللَّفظة تفخيمًا وتعظيمًا؛ إذ إنَّه يوحي بأنَّ هذا اليوم هو يومُ الفصلِ الحقيقيّ الكامل المشهود، وكأنَّ كلَّ فصْلٍ سِواه لم يكن فصلًا، وهو كذلك.

ويمكن أن يكونَ التَّعريفُ للاستغراق؛ لشمول كلِّ صور الفَصْلِ والتَّمييز والعدل والحُكم والقضاء، فهو يومُ الفصل بين الخلائق، الذي يفصِلُ اللّه فيه بحُكمه العادل بين السُّعداء والأشقياء.

علَّة فصْلِ قولِه تعالى: ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾ عن سابقه:

التَّقريرُ والبيانُ لتحقُّقِ فصل القَضاءِ بينَ الثَّقلين

فُصِل قوله تعالى: ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾ عن سابقه؛ لِما بينهما مِن كمال الاتّصال، فإنَّ ذِكر الجمع بعد الفصل هو "بيانٌ للفصل بأنَّه الفصلُ في النّاس كلِّهم لجزاء المحسنين والمسيئين كلِّهم، فلا جرم جُمِعَ في ذلك اليوم الأوَّلون والآخرون، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٥٠﴾

(1) محمَّد الهلال، تفسير القرآن الثَّريُّ الجامع: 12/ 239.
(2) الهرريُّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 550.

[الواقعة: 49 - 50]"[1]؛ "إذ الفَصْلُ بينَ المحقِّ والمبطل والرُّسل لا يستحقُّ إلّا بجَمْعِ الكلِّ، فلا بدَّ مِن إحضارهم لا سيَّما عند مَن لا يُجَوِّز القضاء على الغائب"[2].

"فجملة ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾ مفسِّرة موضِّحة لقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾؛ لأنَّه إذا كانَ يوم الفصل بين السُّعداء والأشقياء، وبين الأنبياء وأُمَمِهِم؛ فلا بدَّ مِن جَمْعِ الأولين والآخرين حتَّى يقعَ ذلك الفَصْلُ"[3].

دلالَةُ التَّعبير بالفِعْلِ الماضي في ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾:

أوثر التَّعبير بالفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾ في مقام الحديث عمّا سيقع في المستقبَل، وهو (الجمع)؛ لإفادة التَّحقُّق، والدِّلالةِ على أنَّ الحدثَ واقعٌ لا محالة[4]، فكأنَّه سبحانه يقول: لقد وقع الجَمْعُ، وانتهى أمره، وقد تمّ ذلك في حُكْمِ اللّه تَعالى وقضائه، وهذا أدخَلُ في التَّرهيب وأوقع في النَّفس، وفيه دلالةٌ على أنَّ جمع الخلائق أمرٌ على اللّه سُبحانَهُ يسيرٌ، فهو في ميزان القدرة الإلهيَّة مُنْتَهٍ لا يتأخَّرُ.

يُسْرُ جَمْعِ الخَلائق يومِ القيامَة على الله تعالى

والمعنى: "هذا هو يومُ الفصلِ الذي كنتُم به تكذِّبون، لقَد وقَعَ، فلا مناصَ لكم منه، ولا مخرجَ لكُم مِن البلاء الذي أنتُم مُلاقوه فيه، وقد التَقَيْتُم فيه بمَن سبقَكم مِن المكذِّبين قبلَكُم، الذين ضُرِبتْ لكُم الأمثالُ بهم في الدُّنيا، فلم تَنْتَفِعوا بها، ولم يكُن لكُم فيمَن سَبَقَكُم عبرَة"[5].

بلاغَةُ حذفِ القولِ في قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾:

حذف القَوْلِ لمفاجأة السّامع ومعايشة الموقف بلفظٍ جامع

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ مقولُ قولٍ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 442.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 779.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 344.
(4) الدُّرَّة، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: 10/ 388.
(5) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1406.

محذوفٍ[1]، وأصل الكلام: ويُقال لهم: هذا يوم الفصل؛ للإشعار بحضور الموقف وسُرعة المفاجأة، وأيضًا فإنَّه ينقل السّامعَ مِن عالَم التَّلقّي إلى عالَم المشاهدة: عينِ اليقين، فيعيش رهبَةَ الخِطاب.

نكتَةُ العُدول عن (جمعناكم فيه) إلى النَّظم المُتلوّ:

عُدولٌ لتعظيمِ الفِعْلِ وتعميمِ الجَمْعِ

عُدِل بقوله: ﴿جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ عن مقتضى الظّاهر: (جمعناكم فيه)؛ لبيان عاقبة الكفر والتَّكذيب؛ فإنَّ كُفّار مكَّة الذين خوطِبوا بهذه الآياتِ قَد ساروا على سَنَن مَن كان قبلهم مِن المكذّبين مِن قوم نوحٍ وهودٍ وصالحٍ والذين مِن بعدهم الذين قالوا: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: 35 - 37]، فجَمَعَهُم الله تعالى مَعَ أسْلافِهِم ليُرِيَهُم جميعًا صدقَ ما كانت الرُّسل تُخبرهم به وتحذّرهم منه، وهو ما أُشير إليه في أوَّل هذه السّورة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾، فيجمع الله تَعالى المكذّبين في النّار أفواجًا: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك: 8 - 9]، فيُلْقَونَ فيها هُم وأسلافُهُم الذين هُم على شاكِلَتِهم مِن الأُمم السّابقة: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: 38]، وهذا مِن جملة العذاب النَّفسيّ الرّوحانيّ فوق العذابِ البدنيّ.

توجيهُ عودِ الضَّمير في ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾:

عــودُ الضَّـميرِ لـلـمـبـالَـغـة في التَّحذير

المعنيّون بضمير الخِطاب في قوله تعالى: ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾ هم "المشركون الذين سبق الكلامُ لتَهْديدِهِم، وهم المكذّبون بالقرآن؛ لأنَّ عطف ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ على الضَّمير يمنع مِن أنْ يكون الضَّمير لجميع المكذّبين مثل الضَّمائر التي قبله؛ لأنَّ الأوَّلين مِن جملة المكذّبين،

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 344.

فلا يقال لهم: ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾، فتعيَّن أن يختصَّ بالمكذِّبين بالقرآن، والمعنى: جمعناكُم والسّابقين قبلَكُم مِن المكذِّبين"[1].

وعَوْدُ الضَّمير في ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ﴾ إلى المخاطَبين يُبرز المواجهةَ المباشرةَ، ويُضاعِف التَّهديدَ، ثمَّ يُتبَع بذِكْرِ الأوَّلين لتَعْميمِ الوَعيدِ وإحاطَةِ الجَمْعِ.

دلالة التَّعبير بالجَمْعِ دون غيره:

الجَمْعُ يدلُّ على تضامٍّ الشَّيء[2]، والمعنى المحوريُّ: تضامُّ أشياءَ متجانسةٍ كثيرةٍ تلاقيًا أو تلاحُمًا أو تراكُمًا[3].

الجمع تَضامٌّ وتلاحُم، وكثرةٌ وتزاحُمٌ

وقد أوثِرَ التَّعبيرُ بهِ في قوله تعالى: ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ للإشعار بتزاحُم الخَلْق وكثرتهم في ذلك اليوم المَهيب العظيم، فكأنَّك ترى أمواجًا مِن البَشَر متراصَّة في مشهدٍ عجيبٍ، وموقفٍ رهيبٍ، وفيه إشارةٌ إلى الضَّمِّ قبل التَّفريق، ممّا يدلُّ على عظمة القدرة الإلهيَّة.

معنى الواوِ ودلالتُها في قوله: ﴿وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾ "عاطفة، أو للمعيَّة، و(الأوَّلينَ) معطوف على الكاف أو مفعولٌ معَه"[4]، وقد جيء بها لإفادة أنَّ الموقف لا يقتَصِر على قوم دون قوم، بل يشمل الخلقَ كلَّهم مِن الأوَّلين والآخرين، كما أنَّها تُشعِر المخاطَبين مِن المشركين بأنَّهم بُعِثوا، وحُشِروا، وأوقِفوا للحساب هم وأسلافُهم الذين ظنّوا كما ظنَّ المخاطَبون أنَّهم لن يُبعَثوا، وأنَّهم إلى اللّه تَعالى لا يُرجَعون، فلمّا كان الجُرم واحدًا؛ كان العقاب كذلك جزاءً وفاقًا.

واوُ العَطفِ لتوسيعِ الجَمْعِ والوَصْفِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 442.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: 1/ 479.
(3) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: 1/ 335.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 344.

فتخويفُهم بهذه الآيات - وهم في الدُّنيا - وتذكيرُهم بالأمم السّابقة يحملُ تحذيرًا مِن مصيرٍ مماثلٍ؛ إنْ هم أصرّوا على عنادهم واستكبارهم وتكذيبهم، وهذا نحو قولهِ تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فُصِّلت: 13].

نكتةُ ذِكْرِ (الأوَّلينَ) هنا بعدَ تقدُّمه في ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

تكريرُ الأوَّلين؛ لتقريرِ الهلاكِ والحشرِ بيقينٍ

جاء ذِكْرُ (الأوَّلينَ) في موضِعَيْنِ مِن السّورة: أحدهما: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، والآخَرُ: في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾.

فأوَّل الموضعين كان في الهلاك والاستئصال؛ لبيان ما حلَّ بهم في الدُّنيا، أمّا الموضع الآخَر؛ فلِبَيان مصيرهم ومآلهم يوم القيامة، فلا هُم في الدُّنيا نجَوا، ولا في الآخرة فازوا، ولا شيءَ أشدُّ مِن ذلك في الزَّجر والوعيد والتَّهديد لمَن سار على خُطاهم، واتَّبع سَنَنهم مِن المخاطَبين مِن كفّار مكَّة ومَن بَعْدَهُم ممَّن اعتقد مُعْتَقَدَهُم مِن الملاحدة.

فالحاصِلُ أنَّ هذا التَّكرار لهذه اللَّفظة بعَيْنِها ربَطَ بينَ مشهَدِ الهلاك ومشهد الجَمْعِ، فحين يسمَعُ المخاطَب (الأوَّلينَ) تقرَعُ أذنَه مرَّةً أخرى، يتذكَّر وُرودَها قريبًا في السّورة؛ إذ بيَّنت ما حلَّ بأولئك الأوَّلين مِن الهلاك، فيزداد الموقفُ رهبةً، وتذكيرًا بالعاقبة، كما أنَّه يرسِّخ معنى الإحاطة والاقتدار، وأيضًا فإنَّ التَّكرارَ هنا مناسِبٌ لنِظام التَّكرار الذي بُنيَت عليه السّورة، وهو الذي مِن شأنهِ أن يرسِّخ المعانيَ في الأذهانِ.

معنى (الفاء) ودلالتُها:

ترتيبٌ وتفريعٌ؛ لتصعيدِ التَّهديدِ والتَّشنيعِ

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾؛ لتفريع التَّحدّي على الجمع، وتصعيد التَّهديد بعد البيان؛ إذ إنِّها تدفع السّياق إلى ذروة التَّهكُّم والتَّحدّي، وأيضًا "لتوبيخ الحاضرين على

ما يكيدون به للرَّسول ﷺ وللمُسْلِمين"[1]، أي: بعد أن تمَّ الجَمْعُ، وظَهَرَ العَجْزُ، وبانَ المَصير، فإنْ كان ثَمَّ لكُم حيلَة؛ فأظْهِروها الآن؛ إن استطعتُم.

نكتة التَّعبير بحرف الشَّكِّ (إنْ):

تشكيكٌ في القدرة البشريَّة وتَجْليَةٌ للعظَمَة الإلهيَّة

جيء بحرف الشَّكِّ (إنْ) في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمُ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾؛ للدَّلالة على نفي قُدرة الكافرين المكذِّبين على فِعْلِ شيء في هذا اليوم العظيم، وكذا "للتَّوبيخ والتَّذكير بسوءِ صنيعهم في الدُّنيا، والتَّسجيل عليهم بالعجز عن الكيد يومئذٍ؛ إذ مُكِّنوا مِن البحث عمّا عسى أن يكون لهم مِن الكيد، فإذا لم يستطيعوه بعد ذلك؛ فقد سُجِّل عليهم العَجْزُ، وهذا مِن العذاب الذي يعذَّبونه؛ إذ هو مِن نوع العذاب النَّفسانيِّ، وهو أوقع على العاقل مِن العذاب الجسمانيِّ"[2].

فحاصل المعنى: "إنْ قدرتُم على أن تتخلَّصوا مِن قبضتي، وتنجوا مِن حُكمي، فافعلوا، فإنَّكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى في سورة الرَّحمن: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرَّحمن: 33]"[3].

معنى (اللّام) ودلالتُها في ﴿لَكُمُ﴾:

الأصل في معنى (اللّام) أنَّها موضوعةٌ للدَّلالة على الاختصاص[4]، وهي هنا بهذا المعنى، أي: لتخصيص المخاطَبين، والمعنى: إن كان لكُم أنتُم خُصوصًا كيْدٌ؛ فهو كيدٌ مقصودٌ مِن قِبَلِكم ومخصَّصٌ لكم، وهذا يزيد مِن وقع التَّهديدِ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 442.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 442.
(3) الدُّرَّة، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: 10/ 388.
(4) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 479، والسّامرّائيُّ، معاني النحو: 3/ 64.

نكتةُ تقديمِ شِبْهِ الجملة على المُسْنَدِ إليهِ في ﴿لَكُمْ كَيْدٌ﴾:

زيـــــادة في التَّـخـويـف، وإيـقـاعٌ للشَّكِّ عـلى كـيـدِهِـم الضَّعيف

قُدِّم شبهُ الجملة ﴿لَكُمْ﴾ على المسند إليه ﴿كَيْدٌ﴾، في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾؛ لتأكيد الاختصاصِ المُسْتَفادِ مِن اللّام في ﴿لَكُمْ﴾، فالمخاطَبون قد ملؤوا الأسماع والأبصار في الدُّنيا، وقد عظُم كيدُهم للنَّبيِّ ﷺ وللمسلمينَ ومكرُهم بهم، وقد أعْجَبَتْهُم قوَّتُهُم، وغرَّهم حِلْمُ اللّه تَعالى عليهِم، فاليومَ لا يَستَطيعونَ فِعلَ أيِّ شيء، لا دفعَ العذابِ عَن أنفُسِهم، ولا تخفيفَه، ولا تَحْويلَهُ.

نكتةُ تنكيرِ ﴿كَيْدٌ﴾:

جيء بلفظ ﴿كَيْدٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ منكَّرًا؛ للتَّحقير مِن شأن كيدِهم هذا، وأيضًا لإفادة الشُّمول، أي: فإن كانت لكُم أدنى حيلةٍ في الخلاص مِن العذاب؛ فاحتالوا، وأنقِذوا أنفُسَكُم مِن بَطْشِ اللّه تَعالى وانتِقامِه؛ إنْ قدرتُم.

معنى (الفاء) ودلالَتُها في ﴿فَكِيدُونِ﴾:

تـشـنـيـعٌ عـلى المـكـذِّبـين؛ لكيدِهِم لأولياءِ الـلـه تَـعـالى المؤمنين

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِ﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرطِ[1]، وفيها معنى التَّعقيب بلا مُهْلَةٍ، أي: إن كان لكم أدنى كيدٍ؛ فهاتوهُ، ولا تتمهَّلوا، وفي هذا تقريعٌ لهم على كيدهم للمؤمنين في الدُّنيا بما مكَّنهم به مِن الأسباب، وتنبيهٌ على أنَّه مَن آذى وليَّه؛ فقد آذنه اللّه تعالى بالحربِ[2].

الغرضُ مِن الأمر ﴿فَكِيدُونِ﴾:

أمـرٌ للتَّعجيز وإظـهـارِ عـدمِ المَقْدِرَة؛ لإحكامِ الـجَـزاء وإبـرازِ الهَيْمَنَةِ

الأمرُ في قولِه تعالى: ﴿فَكِيدُونِ﴾؛ لتَعْجيز هؤلاء الكافرين وتَوْبيخِهِم[3] "على كَيْدِهِم للمؤمنين في الدُّنيا، وتخجيلٍ لهم بأنَّهم كانوا في الدُّنيا يدفعون الحقوق عن أنفُسِهم، ويُبْطِلون حقوق النّاس

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 344.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 181، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 442.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 442، وعبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1406.

بضروبِ الحيل والمكايد والتَّلبيسات، فخاطبهم الله حين علموا أنَّ الحيل منقطعةٌ والتَّلبيساتِ غيرُ ممكنةٍ بقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾؛ لِما ذُكر مِن التَّقريع والتَّخجيل، ولإظهار عَجْزِهم عن الكيد، فإنَّ مثل هذا الكلامِ لا يتكلَّم به إلّا مَن تيقَّن بعَجْزِ مُخاطَبِه عمّا هو بصددِه"[1].

وهو "مِن جنس العذابِ الرّوحانيِّ، فلهذا قال عقيبَه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾"[2].

بلاغةُ جناس الاشتقاق بين ﴿كَيْدٌ﴾، و﴿فَكِيدُونِ﴾:

جناسٌ في المبنى لتعزيزِ المَعْنى

في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ جناسُ الاشتقاقِ بين ﴿كَيْدٌ﴾، و﴿فَكِيدُونِ﴾؛ لإحداث تناغمٍ بين اللَّفظين المتقابلين، ولتعزيز المعنى المراد، وهو المبالغة في نفي الكيدِ عَنْهُم يوم القيامَة؛ إعلامًا بأنَّ كيدَهُم الذي قدروا عليه في الدُّنيا بإذن الله تعالى، قد رُدَّ عليهم في الدُّنيا فما قدروا على إطفاء نورِ الله تَعالى، وهاهم أولاء يعاقَبون بهذا الكيد في الآخرة؛ إذ جُرِّدوا مِن كلِّ مُلك وسُلْطانٍ وقُدْرَةٍ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الكَيْد والمكر:

الكيدُ أقوى مِن المكر

الكيد أقوى من المكر؛ إذ المَكْرُ: هو التَّدبيرُ الخَفيُّ لإلحاق الضَّرر بالآخَر، ولا يعلم ذلك المكورُ به، فلو قال له: أقدِرُ أن أفعل بك كذا؛ لم يكُن ذلكَ مكرًا، وإنَّما يكون مكرًا؛ إذا لم يُعلِمه به، والكيد: اسمٌ لإيقاعِ المكروهِ بالآخَر قَهْرًا، سواءٌ أعَلِمَ به أم لم يعلَم؟ والشّاهد قولكَ: فلان يُكايِدُني؛ فسُمّي فعلُه كيدًا، وإن عَلِمَ به[3].

(1) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 289.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 779.
(3) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 259، 260، ومحمَّد الهلال، تفسير القرآن الثَّريُّ الجامع: 6/ 34، 10/ 169، 170.

وأوثِر لفظُ (الكيد) دون (المكر)، في قول الله ﷻ: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾؛ لأنَّهم في الدُّنيا كانوا يَكيدون للرَّسول ﷺ وللمسلمين، ويتجرَّؤون بإعلانِ الحربِ عليهم بما مكَّنَهم الله تَعالى مِن الأسباب، فالمعنى في الآية: فإنْ كان لكم كيدٌ اليوم، كما كان لكم في الدُّنيا؛ فافعلوه[1].

(1) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 682، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 167، والبيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 277، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21 181، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 442.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"